Journal of Islamic Sciences
Volume (5), Issue (6) : 30 Dec 2022
P: 89 - 104

ISSN: 2664-4347

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد (5)، العدد (6) : 30 ديسمبر 2022م
ص: 89 - 104

The Consistency between the Concluding Verses of the Surahs and the Opening Verses of their Following Surahs of the Quran: Analytical Study

Mihamad Ibrahim Mosa Imar

Faraj Balhaj

Ez-Zitouna University || Tunisia

Abstract: The study aims at identifying the relation between the concluding verses of the surahs and the opening verses of the following surahs of the Quran to clarify and show the connection and consistency between the verses of the Quran and explain the miraculous part of it. The researcher used the deductive approach by mentioning examples from some of the concluding verses of the surahs and the opening verses of their following surahs. The study has found that there is a relation between the concluding verses of the surahs and the opening verses of their following surahs. It is an integrative relation that originated a consistent and integral Qur'anic construction between the verses and the rulings of the verses through the examples that were explained with the help of Tafsir. The study recommended conducting more research about this subject for its importance in dismissing the suspicions of lacking connections and consistency between the surahs of the Quran.

Keywords: Consistency, the Concluding Verses of the Surahs, the Opening Verses of the Surahs, the Quran.

التوافق بين خواتيم السور وبدايات السور التي تليها في آيات القرآن الكريم دراسة تحليلية

محمد إبراهيم موسى اعمر

فرج بالحاج

جامعة الزيتونة || تونس

المستخلص: هدفت الدراسة الى التعرف على العلاقة بين خواتيم السور وبدايات السور التي تليها، وذلك لبيان التواصل والتربط بين آي القران الكريم وتوضيح هذا الاعجاز فيها، استخدم الباحث المنهج الاستقرائي في ذكر الامثلة من بعض آيات نهايات السور وفواتح السور التي تليها، توصلت الدراسة الى أنّ هناك علاقة بين نهايات السور، وبين بدايات السور التي تليها، وهي علاقة تكاملية أصلت لبناء قرآني مترابط ومتكامل في الآيات والاحكام من خلال الأمثلة التي تم طرحها وتوضيحها وتفسيرها من خلال التفاسير القرآنية، واوصت الدراسة بعمل المزيد من الدراسات حول هذا الموضوع لأهميته في نفي الشبهات عن عدم ترابط سور القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: التوافق، خواتيم السور، بدايات السور، القرآن الكريم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أما بعد:

القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز والخالد، الكتاب الذي "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" فصلت 42، أنزله الله تعالى على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، شاهدا على الكتب الاخرى ومتمما لها، جمع الله فيه الأحكام التكليفية ليستقيم سير الناس الى ربهم، ووضع لهم فيه أسس معاملاتهم فلا يبغي أحدهم على أحد، وذكر فيه من القصص تسلية للمستضعفين في كل زمان ومكان إن هم أخلصوا سيرهم لله تعالى، وتحذيرا للطغاة والمستكبرين إن هم أصروا على جبروتهم وعنادهم.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم منجماً على مدار ثلاثة وعشرين عاماً، بيانا للأحكام التي تتعلق بالعباد، حتى انتهى بهذا الترتيب التوقيفي من الله تعالى في أبلغ نسيج، وقد انبرى له العلماء يستخرجون الدرر من هذا البحر الزاخر، وألفوا كتبا وصنفوا المجلدات في تفسيره وبيان علومه، كي يستطيع الناس فهم معانيه وتدبره.

ومما لا شك فيه أن اختيار مواضع الآيات في السور وترتيبها في القرآن الكريم لم يكن عبثا، وإنما كان لحكمة عظيمة، فجملة الآية أو الآيات التي جاءت تعالج موضوعا في القرآن الكريم لا تنفك عما يسبقها من الآيات أو ما يلحقها، وكذلك الأمر في ترتيب السور، إذ يرى المتأمل في هذا الكتاب الخالد كيف تم بناء هذا البنيان بصيغ مترابطة في المعاني والأفكار.

إن علم المناسبات من العلوم القرآنية المهمة، إذ نستطيع من خلاله ربط الجمل القرآنية بعضها ببعض لتكتمل الصورة في ذهننا، علنا نصل بذلك الى مراد الله تعالى.

أهمية الدراسة:

1. يسلط الضوء على علم المناسبات في القران الكريم، والتركيز على العلاقة بين خواتيم السور وفواتح السور التي تليها.
2. يبرز مدى أهمية التعرف على هذا العلم في فهم آيات القران الكريم.
3. يظهر عظمة القران وقوة الترابط بين آياته.

أهداف الدراسة:

1. التعرف على معنى المناسبة بين آي القران الكريم.
2. بيان علاقة السورة بما قبلها وما بعدها.
3. توضيح أوجه التناسب بين الآيات القرآنية وأسرار التوافق بينها.

مشكلة الدراسة

وجد الباحث أن هذا الأمر يحتاج لمزيد من البحث تحديدا فيما يتعلق بالتوافق بين نهايات السور وبدايات السور التي تليها، وتوضيح العلاقة بينهما، إذ اغلب الدراسات ركزت على الفواصل بين السور، وهذا الأمر أدى الى التفكير في اخراج دراسة تطبيقية على بعض سور القرآن الكريم، وتوضيح هذا التوافق، والعلاقة بين النهايات والبدايات، وذلك من خلال الاجابة على التساؤل الرئيس الآتي: ما مستوى التوافق بين خواتيم السور وبدايات السور التي تليها في آيات القرآن الكريم؟

منهج الدراسة

في هذا البحث أردت أن أسلط الضوء على هذا العلم من خلال تتبع أقوال العلماء بين المؤيدين والمعارضين له، متبعا المنهج الاستقرائي التحليلي، ضارباً بعض الأمثلة عليه من خلال أوجه المناسبات التي أبرزها العلماء في القران الكريم.

الدراسات السابقة:

1. أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، بحث لنيل درجة الماجستير للطالبة مقبولة علي الحصيني، جامعة أم القرى. وقد ركزت الدراسة على اهمية التناسب في معاني سورة العنكبوت، وهذه الاهمية تأتي في سياق الترابط والتوافق بين آيات القرآن الكريم، باعتبارها آيه واحدة متكاملة تبين أحكام الشريعة، استخدم الباحث المنهج الاستقرائي، توصل الباحث ان هناك ترابط وتناسب بين آيات سورة العنكبوت ودلالة الآيات مع بعضها البعض فيما تخبر عنه.
2. سورة الدخان دراسة في علم المناسبة، الطالب رفاعي سرور. ركزت الدراسة على اعتبار التناسب ضرورة وعلم يفيد في دراسة العلاقة بين آيات القران الكريم المتشابهة منها وغير المتشابهة، وتوضيح طبيعة العلاقة بين الآية والتي تليها ومناسبتها، استخدم الباحث المنهج الوصفي، توصل الباحث الى ان سورة الدخان من السور التي تجمع آياتها علاقة تكامل واضح في بيان الاحكام.
3. المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورة الأعراف، بحث لنيل درجة الماجستير، الطالبة إيمان عيد درويش، الجامعة الإسلامية، غزة. هدفت الدراسة البحث في سورة الأعراف من خلال الفواصل القرآنية، استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي والاستنباطي، توصلت الدراسة إلى أنّ الفواصل القرآنية هي لتحديد بدايات ونهايات السور، وأنّ البدايات عادة ما تكون مماثلة او قريبة في النص القرآني من النهايات للآيات التي سبقتها، كما ناقشت البلاغة في ربط آيات السورة ببعضها البعض، وركزت على أهمية سورة الأعراف ودور الفواصل القرآنية في تحديد الأحكام وفهم المقصود من السورة
4. المناسبة بين الفواصل القرآني وآياتها دراسة تطبيقية على سورة الحجر والنحل والاسراء، بحث لنيل درجة الماجستير لطالب عبد الله سالم سلامة، الجامعة الإسلامية. هدفت الدراسة توضيح الفواصل القرآنية في سور (الحجر، النحل، الاسراء)، استخدم الباحث المنهج الوصفي في الدراسة، توصلت الدراسة الى أن الفواصل بين الآيات سواء بين الآيات في ذات السورة، او بين الآيات في نهاية السورة وبدايات السورة التي تليها، توصلت الدراسة الى أن الفاصل القرآني مهم لتحديد الهدف من الآية، وهو يسهل عملية فهم الآيات في نفس السياق، كما بين الباحث من خلال نتائجه ان الفاصلة قد تكون آية بكلياتها وقد تكون جزءاً من الآية،

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وذكرت فيها أسباب اختيار البحث، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات وأهميته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المناسبات لغة.

المطلب الثاني: تعريف المناسبات اصطلاحاً.

المطلب الثالث: أهمية علم المناسبات.

المبحث الثاني: أوجه التناسب في القران الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها.

المطلب الثاني: التناسب بين السورة وما قبلها.

المطلب الثالث: التناسب بين السورة وما بعدها.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات وأهميته

المطلب الأول: المناسبات لغة

أصل الكلمة مأخوذ من نسب، وقد عرفها ابن منظور فقال: "نسب: النسب: نسب القرابات ... وقيل: النسبة مصدر الانتساب".[1]

وجاء في الصحاح: "وانتسب إلى أبيه، أي اعترى ... وتقول: عندي ثلاثة نسابات وعلامات، تريد ثلاثة رجال، ثم جئت بنسابات نعتا لهم ... وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة...".[2]

أما ابن فارس فقد عرفها في مقاييس اللغة فقال: " ... كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به ..."[3]

فمدار الكلام عن كلمة "نَسَبَ" هو الاتصال بين شخصين، والعلاقة القائمة بينهما، وقد عبر عنها أهل اللغة بالقرابات التي تربط بين الناس.

أما المناسبة فقد قال الزبيدي في تعريفها: " ومن المجاز: "المناسبة: المشاكلة"، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل. وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة".[4]

إن تعريفه هذا ليس ببعيد عن التعريفات السابقة، ففيه إشارة إلى التداخل والترابط بين شيئين، وقد أبان عن ذلك بذكر مثال القرابة.

المطلب الثاني: المناسبات اصطلاحا

قال البقاعي في تعريف علم المناسبات: هي الوقوف على ما تم عرضه في سورة من القرآن الكريم، وربط ذلك في السورة التالية لها، حتى نصل بذلك إلى الرابط بينهما، فتظهر لنا براعة البلاغة التي تزيل وهم التعارض.[5]

وعرَّف أبو بكر بن العربي علم المناسبات بأنه: علم يوصل إلى ربط آيات القرآن الكريم ببعضها، حتى تكون كالمباني المنتظمة التي اتصل بعضها ببعض.[6]

وقد تعرض السيوطي في الإتقان إلى تعريف المناسبة فقال: "المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه".[7]

---

(1). ابن منظور، لسان العرب، (755/1).

(2). الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (224/1).

(3). القزويني، معجم مقاييس اللغة (423/5).

(4). الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (265/4).

(5) . البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (18/1).

(6) . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (36/1).

وبهذا يرى الباحث أنّ الترابط بين آي القرآن الكريم يحتاج إلى وجود هذا العلم، ونرى بأن السيوطي في تعريفه كان أشمل من التعريفات الأخرى، إذ الهدف الوصول إلى الربط بين آيات القرآن الكريم لبيان الوحدة الموضوعية التي جاءت الآيات لمعالجتها، وإلى الربط بين سور القرآن الكريم لبذل الوسع في الوصول إلى معرفة السبب الذي اختاره الشارع الحكيم من هذا الترتيب التوقيفي.

وفي ذلك يقول الدكتور محمد بازمول: "علم المناسبات: هو معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض"[8].

فترتيب سور القرآن والتواصل بين أواخر السورة والسورة التي تليها كان مهما في الدفاع عن وحدة النص القرآني في وجه الشبهات من ناحية، وتكامل النص القرآني في عرضه للموضوعات من ناحية أخرى.

وعليه فالعلاقة بين المعنى اللغوي لأصل المناسبات وهو "النسب"، مع المعنى الاصطلاحي للكلمة، فهذا العلم يكشف عن الصلة بين الآيات من جهة، وبين السور من جهة أخرى، ويظهر العلاقة بينها، كما يظهر النسب العلاقة بين شخصين من عدمها.

المطلب الثالث: أهمية علم المناسبات:

من خلال التعريفات التي سقناها في المطلب السابق، نستطيع الوصول إلى أهم الأمور التي من أجلها ظهر هذا العلم، ألا هو ربط آيات القرآن الكريم بعضها ببعض لإزالة وهم التعارض فيما بينها، فتظهر العلاقة بين الآيات في السورة الواحدة والعلاقة بين السور القرآنية وكأنها نسيج مُحكم، ونستطيع أن نجمل أهمية ها العلم بالنقاط التالية:

1. ربط السور القرآنية بعضها مع بعض، وكذلك الآيات في السورة الواحدة، فتظهر لنا قوة العلاقة القائمة فيما بينها.[9]
2. من خلال هذا العلم نستطيع معرفة نهاية الموضوع الذي تم معالجته في مقطع قرآني، والبدء بموضوع جديد، وقد مَثَّل السيوطي على ذلك بعدة أمثلة، منها: أن تأتي مجموعة من الآيات فيها وعيد من الله تعالى بالعذاب للعاصين، ثم يأتي مقطع اخر يبيّن مدى رحمة الله تعالى لعباده الطائعين.[10]
3. يساعد علم المناسبات على بيان المعنى المقصود من الآيات الكريمة، وكشف المراد منها، يقول الرازي: "...لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط ..."[11]
4. من المعلوم أن آيات القرآن الكريم وسوره تم ترتيبها بأمر توقيفي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، فكان الكشف عن اسرار هذا العلم دليلا على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.[12]
5. يساعد هذا العلم على فهم القرآن فهما دقيقا وعميقا، فيعيش الإنسان في ظلال الآيات فاهما لها، متبصرا للأجواء التي نزلت فيها، عالما بالقضايا التي جاءت الآيات لمعالجتها، فيستشعر عظم هذا الكتاب، ويلمس مدى إعجازه.[13]

---

(7) . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (371/3).

(8) . بازمول، محمد، علم المناسبات في السور والآيات، ص:27.

(9). الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (36/1).

(10). السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (371/3).

(11). الرازي، مفاتيح الغيب، (110/10).

(12) . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (60/1).

هذه جملة من أهم الأمور التي قالها العلماء عن أهمية هذا العلم، وبعد إمعان النظر فيها، نصل إلى مدى فائدته في الإبانة عن مقصود الشارع الحكيم في هذا الترتيب المعجز، الذي لا يقدر عليه أحد مهما بلغ من الفصاحة والبيان، فيكفي هذا العلم من الشرف أنه جاء لخدمة القرآن الكريم كلام رب العالمين.

المبحث الثاني: أوجه التناسب في القران الكريم

المطلب الأول: التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

أكد عز الدين بن عبد السلام على أهمية ربط الكلام الذي يعالج موضوعا موحدا، حيث يظهر ذلك جمال النص واتصاله، وتزول معه شبهات الانقطاع، فيكون محكما واضحا.[14]

ولما كانت آيات القرآن الكريم الموزعة على سور القرآن محكمات، وعرضت كل سورة من هذه السور موضوعا عاما جاءت تعالجه، كان الربط بين مطلع السورة وخاتمتها عاملا أساسيا يعين على فهم ذلك الجو العام الذي من أجله وردت الآيات.

ومن أمثلة ذلك، آيات سورة البقرة، فقد افتتحت هذه السورة بالآيات التالية: "**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**" البقرة 1-5.

يقول سيد قطب في كتابه "في الظلال القرآن": إن الموضوع العام الذي جاءت سورة البقرة لعرضه يدور حول محورين رئيسيين، الأول: الحديث عن الجماعة المسلمة وتهيئتها للمسؤولية الملقاة على عاتقها من حمل أعباء الدعوة والعمل على نشرها في أرجاء الأرض وفق شرع الله تعالى، وتحذيرها من النكوص بعد العلم الذي وصل إليها، كما كان من اليهود الذين انحرفوا عن جادة الصواب، مقدمين الأهواء والرغبات على الأوامر والنواهي، أما المحور الثاني فكان عرضه لحال اليهود في المدينة المنورة بعد ولادة الكيان الإسلامي فيها، والعراقيل التي وضعوها أمام هذه الدعوة الفتية، من التآمر عليها مع المنافقين والمشركين، لإضعافها والنيل منها.[15]

إنَّ مطلع هذه السورة المباركة يتناول سمات المؤمنين وماهية أوصافهم الظاهرة والباطنة، فتطرقت إلى موضوع الاعتقاد الذي محله القلب، وأهم أوصاف المؤمنين أنهم "يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ"، فهم يصدقون كل خبر أخبر به ربهم جل في علاه، سواء كان هذا الخبر وارد في القرآن الكريم أم عن طريق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم الانقياد بالأعمال الظاهرة إلى الأوامر، من إقامة الصلاة وإخراج الزكاة والصدقات.[16]

وقد ختم الله تعالى سورة البقرة بآيات تظهر قوة العلاقة بين مطلعها في صورة بيّنة واضحة، قال تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" البقرة 285- 286.

---

(13) . مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص58.

(14) . ابن عبد السلام، عز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ص: 338.

(15) . قطب، في ظلال القرآن، 28/1.

(16) . السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص40.

تحدثت هذه الآيات المباركة عن إيمان الرسول صلى الله عليه وسلم لما جاءه من عقائد وأحكام في هذه السورة وغيرها من السور، وكذلك إيمان الصحابة –رضوان الله عليهم-، فهم الذين صدقوا نبيهم في رسالته وبما جاء به من الحق.[17]

بهذا العرض الموجز تظهر لنا مناسبة أول السورة مع خاتمتها، فمطلع السورة جاء بوصف أهل الإيمان وحال أعمالهم الظاهرة والباطنة، وختمت كذلك بذكر صفاتهم، مع فضلية الخاتمة التي قارنت بين المؤمنين والرسول صلى الله عليه وسلم.[18]

لقد كان مطلع السورة ونهايتها دالا على الجو العام الذي دارت عليه هذه السورة المباركة، وهو إثبات الصفات الواجب الاتصاف بها حتى تصل الجماعة المسلمة للغاية التي تنشدها، ألا وهي الإيمان التام والتسليم المطلق لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، خلافا لعمل اليهود الذين قدموا شهوات النفس على شريعة الله تعالى.

وفي سورة المائدة التي ابتدأت بأمر إلهي للمؤمنين بأن يوفوا بالعهود والمواثيق، حيث تعرضت السورة إلى الحديث عن بعض أحكام العقود إلى جانب أحكام شرعية أخرى منها أحكام والوضوء، وختمت بإفراد الله تعالى بالملك والجبروت على السماء والأرض، رابط لا بد من التمحيص والتدقيق للكشف عنه.

والجو العام الذي جاءت هذه السورة لمعالجته هو الوفاء بالعقود، وقد أنكرت على اليهود والنصارى نكثهم لعهد الله تعالى مقيمة الحجة الدامغة على افتراءاتهم الكاذبة، وقد جاءت تحمل بين آياتها أحكاما عديدة، هي تشريعات ربانية، والواجب على المؤمنين الالتزام بها.[19]

قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلاَّ مَا يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ**" المائدة 1.

أورد الطبري -في تفسيره- عن ابن عباس أنه قال: العقود المقصودة في هذه الآية، هي كل الفرائض التي فرضها الله تعالى في كتابه العزيز، ويدخل في ذلك الحلال والحرام، فالواجب الالتزام به، وعدم مخالفته، إذ أن المخالفة هي نكث بالعهد.[20]

وختم الله تعالى سورة المائدة بقوله: "لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" المائدة 120.

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي هو الخالق للأشياء، المالك لها، المتصرف فيها، القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته، وفي مشيئته، فلا نظير له، ولا وزير، ولا عديل، ولا والد، ولا ولد، ولا صاحبة، ولا إله غيره، ولا رب سواه"[21]

فهذه الخاتمة فيها إعلان للخلق بأن الرب واحد أحد، وهو صاحب الملك الذي يدير شؤون هذا الكون بأمره وعنايته.

والعلاقة القائمة بين أول السورة وآخرها قد عبر عنها الإمام الرازي بقوله: "إن مفتتح السورة كان بذكر العهد المنعقد بين الربوبية والعبودية فقال: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**"، وكمال حال المؤمن في أن يشرع في العبودية وينتهي إلى الفناء المحض عن نفسه بالكلية. فالأول هو الشريعة وهو البداية والآخر هو الحقيقة وهو النهاية.

---

(17) . طنطاوي، محمد سيد (1997)، التفسير الوسيط، (1/ 658-659).

(18) . البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (168/4).

(19) . القلموني، تفسير المنار، (97/6).

(20) . الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (452/9).

(21) . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (212/3).

فمفتتح السورة من الشريعة ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته وقدرته وعلوه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح، وهذا المختتم".[22]

وقد ذكر البقاعي أن مناسبة أول السورة مع خاتمتها هو: لما كان الله تعالى هو الخالق الذي بيده التصرف في أحوال الناس، وإنزال التشريعات الواجب إتباعها، كان حقا عليه أن يثيب المؤمنين الذين التزموا بما أمر واجتنبوا ما نهى عنه، وإفرادوه بالألوهية والربوبية.[23]

ومن السور التي يحتاج المرء إلى كثرة تبصر وتدبر في آياتها للكشف عن مدى الترابط بين مطلعها وخاتمتها، سورة الإسراء.

المحور الرئيسي الذي تدور حوله سورة الإسراء هو شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، وما عانى في مكة من تكذيب ومعادة، والكيفية التي استقبل بها أهل مكة هذا الكتاب المعجز الخالد، وما فيه من خير ورشاد للناس.[24]

افتتحت هذه السورة بتسبيح الله تعالى وتنزيهه، وذكر أفعاله العظيمة والتي منها تلك الحادثة الخالدة التي أجلت الهم والحزن عن قلب النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: " **سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**" الإسراء 1.

قال ابن عاشور: افتتحت هذه السورة بالتسبيح لإظهار عظمة المتكلم، وفيه بلاغ عن تنزيه الله تعالى من كل نقص، وبيان عن مدى قدرته وعزته، وفي ذلك قرع للأسماع ولفت للأنظار على صدق ادعاء النبي صلى الله عليه وسلم حين أخبر القوم أنه زار بيت المقدس وعاد إلى أرض الحرم، كل ذلك في ليلة واحدة.[25]

وقد أنهى الله تعالى هذه السورة بقوله: "**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً**" الإسراء 111.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: تحمل هذه الآية ردا على أولئك الذين يزعمون أن لله تعالى ولدا من خلقه، وأيضا فيها إظهار بأنه هو وحده الملك المتصرف بعباده، القادر على تدبير شؤونهم دون الحاجة إلى من يعينه، فهو تعالى غير محتاج إلى أحد يعينه على كل ذلك، أو ينصره إذا ما احتاج إلى نصير.[26]

إن في هذا المعنى للآية الخاتمة للسورة، إشارة إلى تنزيه الله تعالى عن كل نقص، إذ أن هذه الأوصاف لا يتصف بها إلا كل مخلوق عاجز، وتعالى الله عن ذلك.

ونختم هذا المطلب ببيان الرابطة بين مطلع سورة النور وخاتمتها، تلك السورة التي حملت بين آياتها النور الذي يقود الناس إلى الخلاص والسعادة، فجاءت تعرض جملة من الآداب الواجب الالتزام بها كي تصان الأعراض، ويحفظ الفرج عن الوقوع في الحرام، فبذلك تختلط الأنساب.[27]

إن مطلع السورة مطلع استثناء، وفيه إشارة إلى أن كل القضايا التي جاءت هذه السورة من أجل معالجتها هي فرائض لا بد من إقامتها، وما ذلك إلا لدلالة عن مدى اهتمام القرآن الكريم بالأخلاق الحسنة، والتي هي عماد هذه الحياة الدينا.[28]

---

(22). الرازي، مفاتيح الغيب، (12/ 469)

(23). البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (370/6).

(24). قطب، في ظلال القرآن، (4/ 2208).

(25). ابن عاشور، التحرير والتنوير، (15/ 9-10).

(26). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (10/ 345).

(27). الحجازي، التفسير الواضح، (2/ 649).

قال تعالى في مطلع سورة النور: "سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ". النور، الآية 1.

افتتحت هذه السورة باسم غير معرف، وفي ذلك إشعار لعلو قدرتها ومكانتها عند الله تعالى الذي أنزل فيها أحكاما تتعلق بالأخلاق التي تحفظ الأسر من الانجراف خلف الشهوات، لأجل ذلك ذكرت أحكاما تتعلق بالعقوبة المترتبة على من تسوّل له نفسه ركوب الفروج بغير ما أحل الله تعالى، انتهت هذه الآية بقول الحق جل وعلا: "لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" أي: لعلكم تعرفون بشاعة الوقوع في الرذيلة، وما يترتب على ذلك من تمزق للمجتمع وانكسار له.[29]

لقد اختتمت هذه السورة بقوله تعالى: "**أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**" النور 64.

قال الشيخ الشعراوي في هذه الآية: استعمل الحق -جل وعلا- في مقدمة هذه الآية حرف "ألا"، وقد استعمل العرب هذا الحرف لتنبيه على الكلام الذي سيقال، ثم ذكر جل شأنه بأن السماوات والأرض وما فيها واقع تحت حكمه وسيطرته، وهو تعالى على علم بأحوال الناس، وبما يصنعون في حياتهم، ويوم القيامة سيجازكل بحسب عمله الذي اطلع عليه رب العزة جل وعلا.[30]

والمناسبة بين أول السورة وآخرها كما قال البقاعي: أنزل الله تعالى هذه الآيات كي يلتزم بها الناس، ويعملوا بمقتضاها، والله تعالى عليم بما يصنعون، وهو سائلهم يوم القيامة عن ذلك، فالأجدر بهم أن يكونوا متأهبين لسؤال.[31]

من خلال الأمثلة السابقة نتوصل إلى مدى الانسجام بين مطلع السورة وخاتمتها، وللدلالة على ذلك نُذَكِر بما كان في سورة المائدة التي افتتحت بتوجيه أمر رباني للمؤمنين أن يوفوا بالعهود وخصوصا عهد الله تعالى، وانتهت ببيان قدرة الله تعالى وملكه في السماء والارض وما فيهما، وفي ذلك إشارة إلى أنه يثيب من اتبع نهجه ويعاقب من خالفه.

والآيات في سورة المائدة تدل على عقاب الله تعالى الذي أنزله على اليهود والنصارى، فقال في حق اليهود: "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ..." المائدة 12.

وقال جل شأنه في حق النصارى: "وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ..." المائدة 14.

إن اليهود والنصارى قد نكثوا بعهد الله تعالى، فكان العقاب المترتب على ذلك هو قساوة القلب، فلا تقبل حقا ولا ترتضيه، ونتيجة ذلك خسرٌ في الدنيا والاخرة، وكذلك النصارى، فقد تقطعوا إلى طوائف متناحرة في الدنيا ولهم سوء منقلب في الاخرة، فهذا هو حكم ملك السماء والأرض على الخائنين للعهد والميثاق، وبه تظهر قدرته.

المطلب الثاني: التناسب بين السورة وما قبلها

إن البحث عن العلاقة القائمة بين سورتين متتاليتين، لا يقل أهمية عن إظهار مدى الترابط بين مطلع السورة الواحدة وخاتمتها، فسور القرآن الكريم هي كالبناء القائم، فالقضية التي جاءت السورة القرآنية لمعالجتها لا

---

(28). قطب، في ظلال القرآن، (4/ 2485-2486).

(29) . أبو زهرة، زهرة التفاسير، (10/ 5137).

(30) . الشعراوي، الخواطر، (17/ 10350).

(31) . البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (13/327-328).

تنفك عن تلك القضية المطروحة في السورة التي سبقتها، فأظهر علم المناسبات مدى التجانس بين سور القرآن، وهذا أمر لا يخفى على أصحاب العقول المستنيرة، وفيه ابرز لمدى دقة القرآن وإحكامه، ودلالة على عظمته وإعجازه.

في هذا المطلب، سنتناول بعض السور الواردة في هذا الكتاب المعجز، محاولين الكشف عن العلاقة القائمة بينها.

سنبدأ عرضنا هذا مع سورة النساء، إن سورة النساء سورة المدينة، جاءت لطمس معالم المجتمع الجاهلي، وإبراز تصور واضح للمجتمع الفتي الذي نشأ في المدينة المنورة، سالكة في ذلك طريق الكشف عن أعداء الأمة، وكاشفة عن كيدهم وأطماعهم للنيل من وحدتها وقوتها، وهي مع تأخر نزولها، لا زالت تعالج بقايا المعتقدات الجاهلية التي لا زالت كامنة في عقول بعض المسلمين[32].

ولقد جاءت هذه السورة لتتحدث عن أمور تخص المرأة والبيت والمجتمع، وقد سميت بهذا الاسم لأن معظم الأحكام التي فيها تحدثت في موضوع النساء.

هذه هي أهم القضايا التي جاءت سورة النساء لتسليط الضوء عليها ومعالجتها، وقد افتتحت هذه السورة بقول الحق جل وعلا: "**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**" النساء1.

جاء في صفوة التفاسير عن شرح هذه الآية: افتتحت هذه السورة بخطاب موجه إلى عامة الناس بأن يتقوا ربهم، فهي دعوة إلى خشيته وعبادته دون سواه من المخلوقات، فهو الذي خلق الناس رجالا ونساء، وهو المطلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، فكان الواجب على الإنسان أن يتقي ربه في كل تصرفاته، وفيها أيضا تنبه على صلة الأرحام، كي تبقى المودة منتشرة بين الناس.[33]

والسورة التي سبقت سورة النساء هي سورة آل عمران، وسورة آل عمران جاءت ترسم بالكلمات التي كادت تكون كالمشاهدة العينية، الأحداث التي وقعت ما بين غزوتي بدر وأحد، وما كان من صنيع اليهود الذين عقد معهم النبي صلى الله عليه وسلم المعاهدات، من إحداث البلبلة، ونشر الإشاعات المغرضة لهدم صرح الإسلام أنداك.[34]

وقد ختم الله تعالى هذه السورة بقوله: "**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**" آل عمران 200.

قال الزحيلي في التفسير المنير: هذه دعوة من الله تعالى للمؤمنين بالصبر على طاعته، وكذلك بذل الوسع من الصبر على تحمل الشدائد، واجتناب شهوات النفس وأطماعها، وتهيئتها للقتل، حين حث على التزام مواقع الجهاد، وهي تلك القريبة من أماكن العدو، وتهذيب النفس بتقوى الله تعالى، فمن التزم بذلك كان من عباد الله المؤيدين بالنصر والتمكين.[35]

بهذا الشرح الموجز، تظهر معالم الترابط بين السورتين، فالمحور العام للسورتين من النهايات إلى البدايات متقارب، وكشف البقاعي بأنّ سورة آل عمران تحث على أمرين أساسيين، هما: العلم والشجاعة، وعرض لحال الأيتام الذي قضى أباءهم نحبهم في غزوة أحد، وأن النظام الجاهلي كان قائما على منع أمثال هؤلاء من الميراث، ثم جاءت سورة النساء تدعو إلى تقوى الله تعالى والإحسان إلى القرابة، وبذلك يظهر الترابط بين السورتين.[36]

---

(32). قطب، في ظلال القرآن، (1/555-556).

(33). الصابوني، صفوة التفاسير، ص 236.

(34). قطب، في ظلال القرآن، (1/ 350- 352).

(35) . الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (4/ 216-217).

(36) . البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (5/171-172).

أسند الإمام الترمذي في سننه لجابر بن عبد الله –رضي الله عنه- أنه قال: "جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: يقضي الله في ذلك فنزلت: آية الميراث، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما، فقال: أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك".[37]

الظاهر من هذا الحديث أن مشكلة الميراث قد بدأت بالظهور بعد غزوة أحد، والتي تعرضت سورة آل عمران لها، فأنزل الله تعالى تفصيل الميراث في آيات سورة النساء.

ولما كانت نهاية سورة آل عمران تحث المؤمنين على الصبر، جاءت بداية سورة النساء تدعوهم إلى تقوى الله تعالى، فمن اتقى الله تعالى صبر على طاعته، وصبر عن معصيته، وصبر على نوائب الدهر، فالتقوى هي المعين على الصبر.

ومما يبين مدى ترابط العلاقة بين سور القرآن الكريم، ما كان بين سورتي التوبة والأنفال، وسورة التوبة تضع للأمة المسلمة الأحكام النهائية للعلاقات القائمة بينها وبين الأمم الأخرى، وكذلك وضعت التصور النهائي للأحكام المرحلية التي شرعة لهذه الأمة، وحددت أهدافها وواقعها.[38]

افتتحت سورة التوبة بقول الله عز وجل: "بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" التوبة1.

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: تبرأ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين تقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر المؤمنين بأن لا يوفوا بالعهد المبرم مع المشركين وقد نقضوه ابتداء، أما أولئك الذين لم ينقضوا العهد فأتموا العهد لهم حتى وقته.[39]

أما سورة الأنفال فقد جاءت معالجة لقضية المعارك، وما يتصل بها من استعداد للحرب، ويكون ذلك بإتباع الأوامر ولزوم الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والعمل على وحدة الصف، والنتيجة المترتبة على ذلك فهي تأييد الله تعالى لعباده بالنصر والتمكين، ثم تطرقت إلى الغنائم التي يغنمها المسلمون من المعارك، وكيفية تقسيمها، معرجة على العهود التي تكتب بين المسلمين والمحاربين من أعدائهم.[40]

وقد ختم الله سبحانه وتعالى سورة الأنفال بقوله: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" الأنفال 74-75.

قال الشعراوي في تفسيره لهذه الآية: حددت هاتين الآيتين أقسام المؤمنين الذين صدقوا بإخلاص أمر الله تعالى واتبعوه، ولم يكن انتمائهم إلا لله ولرسوله ولهذا الدين، أما القسم الأول: فهم الذين تركوا بلادهم وأموالهم وذراريهم، وفروا بدينهم من أجل الثبات عليه والعمل على نشره، وينضم إليهم الأنصار، وإن لم يتركوا أرضهم وأهلهم، إلا أنهم قد شاركوا منازلهم وأعمالهم مع إخوانهم المهاجرين، واشتركوا معهم في بذل الأموال والمهج من أجل نصرة هذا الدين، أما القسم الثاني: فهم الذين لم يخرجوا من ديارهم، وأثروا القعود مع أهلهم، فهؤلاء ليس لهم ولاية حتى

(37) . الترمذي، الجامع الكبير "سنن الترمذي"، حديث رقم (2092)، باب ما جاء في ميراث البنات، (485/3)

(38) . قطب، في ظلال القرآن، (3/ 1564).

(39) . الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (102/14).

(40) . ابن عاشور، التحرير والتنوير، (247/9).

يهاجروا، والقسم الأخر: هم الذين تركوا أوطانهم رغم زوال المسبب لذلك، إلا أنهم بجهادهم قد أظهروا تجردهم عن الانتماء لأي أحد إلا لله تعالى.[41]

وقد أشار المراغي في تفسيره إلى المناسبة الرابطة بين السورتين، بقوله: "إنها كالمتممة لها في معظم ما في أصول الدين وفروعه، وفى التشريع الذي جله في أحكام القتال والاستعداد له، وأسباب النصر فيه، وأحكام المعاهدات والمواثيق من حفظها ونبذها عند وجود المقتضى لذلك، وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض، والكافرين بعضهم مع بعض، وأحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمذبذبين من المنافقين ومرضى القلوب"[42]

ونختتم هذا المطلب ببيان وجه العلاقة بين سورة فاطر والسورة التي قبلها وهي سورة سبأ.

سورة فاطر هي سورة مكية، والمحور الرئيسي الذي تعالجه الآيات التي نزلت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هو بيان العقيدة الصحيحة الواجب إتباعها، فكان مدار الحديث في هذه السورة متعلق بذلك، إذ نرى فيها إثبات الألوهية لله تعالى وحده، وأنه الخالق والمنعم على عباده، ولما كان حال الكفار في مكة هو الإعراض والتنكيل بالمؤمنين، جاءت هذه السورة لتثبيت قلب النبي صلى الله عليهم وسلم، ومواساته على ما يلقى من الكفار، ببيان حال الرسل مع أقوامهم، وسوء خاتمة الكافر، داعية كفار مكة إلى الاعتبار بما جرى مع الأمم السابقة، وأن لهم سوء العاقبة إذا ما أصروا على العناد والاستكبار.[43]

افتتحت هذه السورة بقول الحق جل وعلا: "الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" فاطر 1.

افتتحت هذه السورة بحمد الله عز وجل، وهذا فيه إثبات بأن الله تعالى هو وحده المستحق للثناء والشكر على نعمه الظاهرة والباطنة، ثم أظهر الحق تعالى أنه المتفرد بالخلق والإيجاد، حيث أشار إلى خلق السماء والأرض، وإظهار لعظمة خلقه التي يرها الإنسان، ثم ذكر عظيم خلقه مما حجب عن أعيان الناس، وهم الملائكة العظام، والمراد بعدد الأجنحة هنا الكثرة لا التقيد بالعدد، فعدد أجنحة الملائكة لا يعلمه إلا الله تعالى.[44]

فكأن الله تعالى أراد بهذا المطلع أن يدعو الناس إلى التفكر بعظيم خلقه، وهذا التفكر الذي ينبثق عن تجريد الهوى لا بد أن يوصل إلى هداية الإنسان بعد أن ضل، وقد الكشف –جل شانه- عن ما هو أعظم من خلق السماوات والأرض، وهم الملائكة الأطهار الذين لا يعصون الله تعالى بما يأمر به، وفي ذلك تقريع للكافرين وتحذير لهم، وإيناس لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بأن أقوى المخلوقات على تأهب لنصرتهم متى ما أراد الله تعالى.

وسورة سبأ هي مكية أيضا، وقد ذكرنا أن المحور الرئيسي للسور المكية يقوم على زرع العقيدة السليمة في نفوس الناس، وقد تعرضت سورة سبأ لذلك، إلا أن الركيزة التي اعتمدت عليها هذه السورة هي قضية البعث، وما يكون يوم القيامة من مجازات الناس على أعمالهم في الحياة الدنيا، كما أنها تظهر رحمة الله تعالى وعلمه ودقة تصرفه في خلقه بما يشاء، حسب إحاطة علمه بأحوالهم.[45]

(41) . الشعراوي، الخواطر، (4830/8).

(42) . المراغي، تفسير المراغي، (50/10).

(43) . ابن عاشور، التحرير والتنوير، (22/ 248).

(44) . الحجازي، التفسير الواضح، (152/3).

(45) . قطب، في ظلال القرآن، (2888/5).

وقد ختم الله تعالى هذه السورة بقوله: "وَلَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (51) وَقالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (52) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (53) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ" سبأ 51-54.

قال الشوكاني في تفسيره لهذه الآيات: وجَّه الله تعالى خطابه لنبيه صلى الله عليه وسلم، قائلا له: لو أبصرت حال الكفار وما يصيبهم من فزع وكرب عند نزول العذاب بهم في لحظة الموت ويوم يبعثون من قبورهم للحساب، لرأيت أمرا هائلا، فليس أحد منهم بناجٍ من عذابي وعقابي، حينئذ يطلبون الإيمان ويتمنونه، ولكن مرادهم بعيد عنهم، وفي تلك الساعة هم في انقطاع عن الدنيا وما كانوا يشتهون منها من أموال وأبناء، كما كان انقطاع الأمم السابقة.[46]

جاء في روح المعاني عن المناسبة بين السورتين: "إنه عز وجل لما ذكر في آخر السورة المتقدمة هلاك المشركين أعداء المؤمنين وإنزالهم منازل العذاب تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره ... وينضم إلى ذلك تواخي السورتين في الافتتاح بالحمد وتقاربهما في المقدار وغير ذلك".[47]

هذا الإعلام الغيبي لمصير الكفار يوم القيامة، يوجب على المؤمنين أن يحمدوا الله تعالى ويشكروه على أن هداهم إلى الطريق المستقيم الذي ينجيهم من سوء المنقلب في الأخرة.

أضف إلى ذلك أن الجو العام الذي جاء في السورتين متقارب، فإنّ السورتين نزلتا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقرر أن السور المكية جاءت لمعالجة القضايا العقدية، وما يترتب عليها من جزاء يوم القيامة.

المطلب الثالث: التناسب في السورة ذاتها

يتناول هذا المطلب العلاقة بين السورة ذاتها من حيث بدايتها ونهايتها وموضوعها وشموليته، إذ ان الترابط بين أجزاء السورة ذاتها مهم في تحديد الموضوعات التي تناولتها من ناحية، كذلك الابتداء والانتهاء فيها يعزز الوحدة الموضوعية لها.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في افتتاح سورة الانعام وخاتمتها، إذ يقول عز وجل في بداية السورة :﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ الانعام، 1.

يقول البقاعي في تفسيرها وفيها الكمال لله عزوجل وقدراته في الخلق، إذ أحسن كل شيء خلقه، فهو الجامع لكل صفات الكمال، والذي افاض على سائر الموجودات برحمته، وهي استكمال لما جاء في نهاية السورة السابقة من التوحيد الذي يحوي جميع الكمالات من الايجاد والقدرة على البعث وغيرها من الأشياء[48]، وختم الله عزوجل السورة بقوله :﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ *وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ الانعام، 164-165.

وقال البقاعي في ذلك ختام سورة الأنعام جاء في غاية التناسب مع أولها، فالاستفهام في الآية الخاتمة للسورة تعجبُي استنكاري، يستنكر ممن يتخذ ربًّا غير الله، مع كونه قد خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وهذان صنيعان يستوجبان الشكر الدائم لا العصيان[49].

---

(46) . الشوكاني، فتح القدير، (4/ 384-386).

(47) . الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (11/ 334).

(48) . البقاعي، نظم الدرر، (578/2)

(49) البقاعي، نظم الدرر، (756/2)

فهذا النص المتكامل من حيث قدرة الله في خلقه، فهو الذي خلق الانسان من طين، وهو فوق كل شيء، فكيف بمن يقبل بغير الله، ويعصيه، فكما كان له القدرة على العفو، فله أيضا القدرة على العقاب، كما جاءت باقي الآيات القرآنية في هذه السورة لتبين هذا التواصل في تحديد ما يرغب الله عزوجل من ايصاله لعبادة.

ومثال آخر على التناسب والتناسق في بدايات سور القرآن الكريم ونهاياته، قوله تعالى في بداية سورة الروم (﴿الم *غُلِبَتِ الرُّومُ *فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ *فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾]الروم: 1 – 4

وختمت السورة بقوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ الروم: 60

فهذه السورة جاء لتزيل الشك باليقين، حيث كان المسلمون يميلون الى فوز الروم كونهم أهل كتاب، فيما كانت قريش تميل الى فور الفرس كونهم عبدة أوثان[50]، فجاءت هذه الآية لتبين أن الروم سيغلبون بعد سنوات، وهذا أثار لدى المسلمين التحدي بتصديق كلام الله عزوجل، فيما أكدت في نهاية السورة على أن الأمر بحاجة الى الصبر، فوعد الله حق، ولا يخلف الله وعده، فلا تتأثر يا محمد (عليه السلام) أنت والمسلمون بكلام هؤلاء.

فكان لبداية السورة وخاتمتها تواصل كبير، ومعاني واضحة وتكامل في المفاهيم المقصودة، وهي أن وعد الله حق، وأن الله جل وعلا لا يخلف وعده، فالأمر بالصبر يكون على نبأ هزيمة الروم، واستهزاء الكفار والمنافقين بتأخُّر النصر، وذلك جاء آخر السورة، وتأكيد الوعد بنصر الروم، وهزيمة الفرس، يكون متصلاً بإخبار الله النبيَّ بنصر الروم وهزيمة الفرس في أول السورة.

وكما جاء في فاتحة سورة القصص وخاتمتها حيث افتتحت الآيات بقوله تعالى **(طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3)) القصص: الآيات 1-3.** والتي جاءت إخبارية بما فعله فرعون، وهي اعلام بالجليات والخفيات، والمحاسبة والمجازاة، وهي ليست كافة الاخبار، هي من نبإ موسى وفرعون، يقول البقاعي في ذلك " ونبه على أن هذا البيان كما سبق إنما ينفع أولى الإذعان بقوله: {لقوم يؤمنون*} أي يجددون الإيمان في كل وقت عند كل حادثة لثبات إيمانهم، فعلم أن المقصود منها هنا الاستدلال على نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمي بالاطلاع على المغيبات"[51]

وجاء في نهاية السورة ما يؤكد ذلك بقوله عزوجل **(وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (86) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (87) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)) القصص: 86-88.**

فكما بدأ لله عزوجل خطابة بذكر آيات الكتاب المبين ختم السورة بالتأكيد على ان الكتاب رحمة منه عزوجل، فمن تسلح به كان مؤمنا حق ايمانه بأن لا يدعو مع الله إلها آخر، فقد بين الله للقوم المؤمنين حقيقية فساد فرعون وإفساده في الأرض، وهي رسالة لمن يريد أن يتبع فرعون فهو هالك لا محالة كما هلك فرعون، فكانت القصة مكمله لبعضها البعض، والرسالة واضحة، من اتقى الله فله الجنة، ومن فسد وأفسد وادعى مع الله الها آخر فله جهنم خالدا فيها.

(50) ابن عاشور، التحرير والتنوير(40/21)

(51) البقاعي، نظم الدرر، (235/14)

الخاتمة:

هذا بحث عن علم المناسبات في القرآن الكريم، تعرضنا فيه إلى تعريف المناسبة لغة واصطلاحا، معرجين على أهمية هذا العلم ومكانته في علوم القرآن الكريم، ولبيان أهميته قمنا بعرض أمثلة تطبيقية توضح مدى الترابط بين سور القرآن وآياته، وفيما يلي أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1. إنّ ترابط الموضوعات التي تعرضها الآيات الكريمة دلالة واضحة على أهمية التناسب في القرآن الكريم، ليكون واضحًا مفصلًا للقارئ.
2. وفي المقابل فإنّ هناك أيضا تناسب بين الموضوعات التي يتم طرحها باختلافها ما بين الاحكام، والتشريعات، والفرائض، والحدود، والاخبار، والجمع بينها بشكل يؤكد عظمة القرآن الكريم.
3. من فوائد هذا العلم، هو بيانه إلى نهاية موضوع وبداية موضوع أخر، وكما يساعد على بيان المقصود من المعاني القرآنية، فيصل المتبحر في القرآن بذلك إلى فهمه فهما دقيقا.
4. لهذا العلم وجوه عدة، منها: مناسبة مطلع السورة مع خاتمتها، ومناسبة السورة مع ما قبلها، ومناسبة السورة مع ما بعدها.
5. يساهم هذا العلم بالكشف عن مدى الترابط بين آيات القرآن الكريم، سواء أكان ذلك في السورة الواحدة أم في ربط السور القرآنية بعضها ببعض.
6. يبرز هذا العلم إعجاز القرآن الكريم، وأنه قد أُنزل من لدن حكيم عليم، فلا يستطيع أحد من الخلق أن يأتي بمثل هذا الترابط مهما بلغ من الفصاحة والبيان.

التوصيات:

توصي الدراسة بعمل المزيد من الدراسات حول خواتيم السور والسور التي تليها لما فيها من اعجاز يساعد في فهم القرآن الكريم وأحكامه بشكل متكامل.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1. ابن عاشور، الطاهر محمد بن محمد بن محمد(1984)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر
2. ابن عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز(1995)، الغشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تحقيق: محمد حسن، دار الكتب العلمية- بيروت
3. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي(1419ه) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية
4. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (1414ه)، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر
5. ابو زهرة، محمد بن أحمد(د.ت) زهرة التفاسير، دار الفكر العربي
6. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني(1415ه)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1
7. بازمول، محمد بن عمر بن سالم(2002)، علم المناسبات في السور والآيات، المكتبة المكية، ط1، 27.
8. البقاعي، ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط(1957)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة

9. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الضحاك(1998)، الجامع الكبير "سنن الترمذي"، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار المغرب الإسلامية
10. الجوهري، محمد بن اسماعيل الفارابي(1987)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين
11. الحجازي، محمد محمود(1413ه) التفسير الواضح، بيروت: دار الجيل الجديد، ط10
12. الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسن التيمي(1420ه)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي
13. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(د.ت) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية
14. الزحيلي، وهبة بن مصطفى(1418ه)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر- دمشق
15. الزحيلي، وهبة بن مصطفى(1422ه)، التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر- دمشق
16. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البراهن في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل محمد ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه
17. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (2000)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة
18. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(1974)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل محمد إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب
19. الشعراوي، محمد متولي(1997) الخواطر، مطابع أخبار اليوم
20. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير/ دار الكلم الطيب- دمشق/ بيروت، ط1، 1414ه
21. الصابوني، محمد علي(1997) صفوة التفاسير، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،ص 236.
22. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي(2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة
23. طنطاوي، محمد سيد(1997)، التفسير الوسيط، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
24. القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد(1964)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني/ ابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة
25. القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي(1979)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار الفكر
26. قطب، سيد (1988م) في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق
27. القلموني، محمد رشيد بن علي رضا الحسيني(1990)، تفسير المنار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
28. المراغي، أحمد بن مصطفى(1946م)، تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،
29. مسلم، مصطفى (2000م)، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق: دار القلم.